الأوذيسة

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

...

وما كاد يفرغ تليماك من مقالته حتى أرسل سيد الأولب نسرين عظيمين طفقا يضربان الهواء بخوافيهما ، ثم جعلا يدوّمان فوق الملأ ، ويقدحان الشرر من أعينهما ... نذيرَيْ ردى ، وصيحة منون . ثم انطلقا نحو المدينة وغابا فى ظلام البعد

وشده القوم ، وريعت أفئدة المشاق ، وأخذوا يتخافتون ... ثم نهض فيهم القديس هاليتير بن نسطور المعروف بورعه وصدق نبوءته ، فقال :

« أيها الناس : يا أبناء إيثاكا : اسمعوا وعوا : ليحذر المشاق المعاميد ما يخبئ لهم الغيب من شر أوشك أن ينقذف على رؤوسهم : إن أوديسيوس حى يرزق ، وإنه عائد يوماً إلى وطنه ، بل إنه يجد السير إلى هنا : وإنه ليحمل الموت الأحمر إلى خصومه ، والخير الأخضر إلى مواطنيه : أنا هاليتير ، قد يسكم الذى لا يكذب قد أنبأته قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك

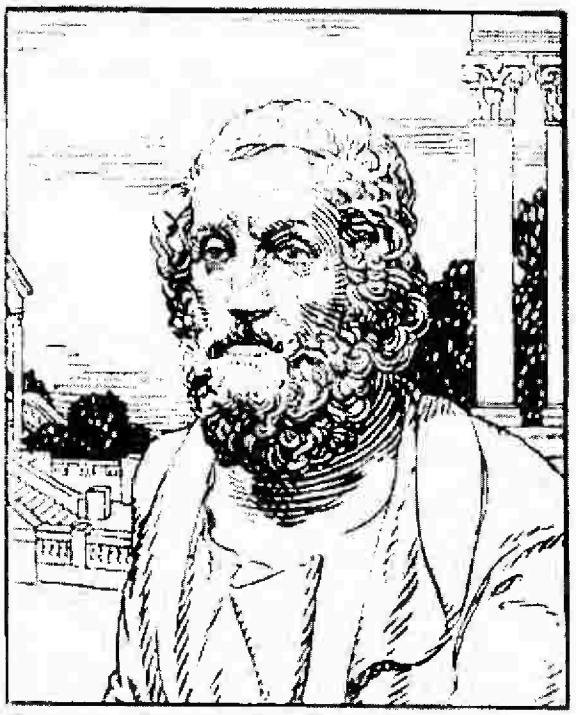

هوميروس

النبأ ، وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه ، ويذيقهم ضعف ما صنعوا ، وإن يجديهم أن يتوبوا أو يندموا .. ليأتينكم نبؤه بعد حين : »

وسخر القوم واستهزأوا به ، وقام بوريماك يرجمه بهذه الكلمات :

« انقلب إلى دارك أيها المجوز الخرف : هلم إلى أحفادك الكسالى فتنبأ لهم عما ينبغى أن يأخذوا حذرهم منه . لقد قصف المنون عصن أوديسيوس الفينان . وليته قصف عصنك كذلك : طير ؟ : ها : إن الطير طالما يستمر فى سماء إيثاكا ؟ إن أكبر الظن أنك تطمع فى منحة من ابن مولاك تليماك .. ولكن اسمع إلى : لتكن لك منحة منا إن تنبأت له عما يكاد يذهب بك وبه من بطشنا إن لم يحتر نفسه : أسمعت ؟ لقد نصحنا له أن يرسل أمه إلى بيت أبيها ليختار لها الكفء الذى ترضى ، فلم ينتصح . وأنا أرسلها كلمة صريحة فى غير مين أننا لن نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير (حتى

تخضع بلوب) فنمضى مأجورين . . وثق ، أيها الشيخ المهيب الخرف أن نبوءاتك لن تفزعنا ، بل هى تضاعف سخطنا عليك ، وبقضاء مالك .... ألا ما أطيب الاقامة هنا ؟ : التردد بلوب عناداً ، فانا لا نرداد إلا جلاداً . . »

ونهض تليماك فقال :

« على رسلك يابوريماخوس : وعلى رسلكم أيها العشاق جميعاً . . لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها : أبداً لن أضرع إليكم مرة أخرى . . . الآلهة بينى وبينكم ، والأغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم : غير أن لى طلبة إليكم حيداً لو أنلتمونى إياها . . . فهل تسمحون لى بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فورى هذا الى بيلوس ثم الى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبراً عن أبى ، أو أنا قف نبوءة من سيد الأولمب الذى بيده ملكوت كل شىء . . . إنى إذا علمت أن أبى ما زال حياً فقد أوفق فى الظفر عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فانى عائد إلى إيثاكا فأقيم له نصباً يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لى مطلق الحرية فى منح أحدكم يد أمى فتكون زوجه المخلصة إلى الأبد ، بعد أن أتم لأبى كل المراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى ربها فى ظلال هيدز [1] »

وكان فى المجتمعين رجل تبدو عليه محايل النبل ، وتنقد فى رأسه جمرات الشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تليماك ، فاذا هو الشيخ منطور ، الذى كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة ، صداقة قوية كانت تجمع بينهما . . . قال منطور :

« إسمعوا إلى يا أهل إيثاكا : ما لكم اليوم قد تسيتم آلاء ملككم أوديسيوس عليكم ، وهو الذى كان يرعاكم كالأب ، ويغدق عليكم من فيضه العميم ؟ مالكم قد تقاعستم دون هؤلاء العشاق الذين يذهبون بخير مولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قلة وأنتم كثير ، آمنين مطمئنين ، لا ترهبون أوبة مفاجئة من البطل النزيد . . . ؟ »

وهاجت كلمة الرجل كوامن العشاق فهب أحدهم وهو ليوكريتوس ، يقول :

« رويدك يا منطور ! أيها الثرثارة المخبول ! كيف تجرؤ أيها الرجل فتثير الشغب على العشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يامنطور ؟ إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا نفسه لن يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إخراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً أن يعود ؛ إنه إذا فعل فسيذوق وبال أمره ، ولن تنال منا حماقاتك ولا نبوءات هاليتير ، ويغلوب نفسها ان تسر بأوبة أوديسيوس ؛ ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه ان يضيرنا أن يذهب تليماخوس فيذرع البحر باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء . . . »

وتمزق القوم ، وأهرع العشاق إلى خيامهم ، وانقلب تليماك إلى سيف البحر ، حيث وقف فوق صخرة ناتئة يناجى مينرفا :

« أيتها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرفا : يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؛ أصغى لك ، أنا تليماخوس التعيس ، وأسهل أن تباركينى وتسددى خطواتى ، وتكونى رائدى الأمين فى عباب هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكونى معى إلباً على هؤلاء الفساق العرابيد ،

(١) إسم للدار الآخرة فى الميثولوجيا

وأن تشرق فى ظلمات رحلتى البعيدة ، وأن تحلى أمناً وسلاماً على . . . يا ميرقا ، يا ميرقا ، آمين يا ربة العدالة ... »

واستجابت ميرقا ، وأقبلت فى صورة الأمين منطور حتى كانت قبالة تليماك ، ثم شرعت تكلمه كلمات هن أروح من أنفاس الفجر ، وأندى من نسمات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا تليماخوس : السلام عليك حين تثبت أنك ابن أوديسيوس وفرع دوحته الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من حوله وطوله وقوة بأسه ، وحين تقلع على بركة السماء وفى عناية الآلهة ورعاية سيد الأرباب ؛ فى رحلة لن تكون عبثاً ... أنت ابن أبيك يا تليماك ... أنى بك من بنلوب ... وآية ذلك هذه الروح القلقة التى تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذى هو نفحة منه ، وذاك الصوت الجبار الذى يتلجلج فى فمك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد الذى هو قبس من ذهنه العظيم ... بشراك يا تليماك : لا يحزنك خيال أعدائك فقد أوشك القضاء أن ينقض على رؤوسهم فيحطمهم ... أنا ... أنا هذا الشيخ المهدم ، صديق أبيك وأمينه منطور ، سأكون معك ، وسأخدمك ، وأسهر عليك ، وأفديك ... لكن لتمض الآن فلتعد للرحلة ما هو حسبها من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من رجالك الأقوياء ، وسأنتقى أنا نفسى أشدهم مراساً وأصدقهم عزيمة ... إمض على بركة الآلهة ... إمض ... لا وقت لدينا فنضيعه ... هلم ... »

وسكتت ميرقا ... ولكن حرارة كلماتها أشرقت بالآمال فى نفس تليماك ، فذهب وقلبه يخفق بآلف أمنية ... الى القصر ... حيث رأى العشاق يدخنون ويعدون نار الشواء ، وحيث قفز أنتينوس لقائه ساخراً مستهزئاً :

تليماك : ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا واطرحت بفضاءك هنيهة ! هلم ! تحسّ من هذه الخمر قرقفاً أيها الصديق . لا يشغلك أمر الرحلة .. فقد أمرنا أن يعد لك الآخيون سفينة عظيمة وقدراً من الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى قوة .. وستبحر قريباً فتذرع البحار وراء أبيك . هلم ... هلم ... »

ولكن تليماك عبس عبوسة قاتمة وقال :

« أنتينوس ! إليك على قنا أستطيع مشاركة حصوى السفلة غداءهم ، ولا لى قلب فأشرب النخب من يدك ! لابورك لكم هذا الذبح الذى لا يحل لكم ، والذى استبحتموه من غير حق ، إذ أنا طفل أحبو .. أجل : لأستعجان لكم الخراب ولأسمين فى حتفكم ، ولأذهبن إلى بيلوس فانتصر إذ عزلى النصر فى إبتاكا ! أيها الذئاب ! حتى سفائنى وعتادى تنكرونها على ! »

وكان اللئيم قد أمسك بيمين تليماك كالصافح المستهزئ ، ولكن تليماك جذبها ساخطاً ، وترك الكلاب تغمزه وتلمزه ، وتستهزئ بهذا العون

الذى يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التى يأمل أن يجردها عليهم من أسبرطه ... « ومن يدرى ؟ فقد يهتدى إلى إبقير الثمرة ، فيجد فى أعشابها بقلة يدس لنا منها فى كؤوسنا فتريحه منا ... » ... « ... بل من يدرى ؟ فلقد يبتلعه اليم كما ابتلع أوديسيوس من قبل . وتكون هنالك الطامة ! إنا إذن نقتسم هذا المتاع وتلك الضياع ، ثم نهر أحدنا الذى تختاره بثوب بملأ لها ، عادة هيلاس بهذا القصر المنيف ! ... »

تركهم تليماك ، ومضى قدماً الى غرفة أبيه بالطابق العلوى ، حيث كنوزه التى لا تقدر ، من عُدة للحرب وذهب مدّخر ، وحر معتقة وروح أدْفر ، وخز وديباج ودُرّ وجوهر ، ومغافر أعدت لليوم المنتظر ... يوم يعود أوديسيوس فيظفر ويقهر ، ويطهر بيته من ذاك النفر ...

ووجد عندها حارستها يوريكليا فصاح بها :

« ربيبة : يوريكليا : هيا : صبى من حمرك فى زقاق ! من مدامتك التى ادخرتها لأبى ... لا ... لا ... ليس من صفوتها يا ربيبة ، إحتفظى بصفوتها له ، املئى اثنى عشر دنا ، وهيئى عشرين جوالقاً من دقيق . هيا ... أعدّيها كلّها لتحمل إلى سفينتى بعد أن تنام الملكة ... لا يعلمن أحد بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسبرطة ... حتى ولا أبى : سأرحل ثمة ... سأتسمّع أخبار أبى ... »

وصمت تليماك هنيهة ... واستعبرت ربيبته يوريكليا ، وأرسلت هذه الكلمات على أجنحة من الحنان ، وفى شقائق من الرحمة :

« رويدك يابنى : أى سفر وأى نوى ! ؟ لقد انتهى أوديسيوس وانتهى معه كل شىء ! وهو اليوم رفات سحيق فى رمس عميق فى بلد لا نعرفه ! أتسافر يا تليماك ليأتمر بك هؤلاء الذئاب ، وقد يساطون عليك من يغتالك ، ثم يستصفون كل مالك بعد ذلك ؟ حاشاك يا بنى ! لتبق معنا نحن الذين أحببناك واصطفيناك ! فلم تذرع عباب هذا البحر ولا رحاب لك فى مطمح ، ولا ثقة لك فى شىء ؟ »

وأجاب تليماك فى رفق :

« رويدك أنت يا ربيبة : إنى لم أعتزم شيئا من تلقاء نفسى ... إنها السماء هى التى توحى إلى : ولكنى أستحلفك بكل أربابك ألا تفشى شيئا مما اعتزمته على أمى إلا بعد احد عشر يوماً أو إثنى عشر يوماً . فإنها لو علمت بسفرى لأظلمت فى عينيها مباهج الحياة وذهبت نفسها على حسرات »

وأقسمت يوريكليا بكل أربابها ، واثنت تهىء دنان الخمر وأحمال الدقيق

أما منيرفا : أم ربة العدالة والحكمة الخالدة ، ذات العينين الزبرجديتين ، فقد عمت شطر البحر وقصدت الى المرفأ ، حيث لقيت نوعمون بن فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه المنشئات ، فأعدّ لها واحدة من خيارها . وما كادت ذكاء تدخل فى خدْر الأفق ، وما كاد الشفق يبكى فيصبغ بدموعه جبين السماء حتى كان الملاحون قد هيّأوا القلوع ونشروا الشراع ، وخبروا مجاذيفهم وأحضروا عددهم ، وتزودوا من السلاح ؛ وكانت منيرفا نفسها تستحثهم ، فسرعان أن تهادت السفينة فى جوّها ، ورقصت تشوى فوق هامات الثبج

وذهبت منيرفا ، فى صورة منطور وفى طيلسانة فأشرفت على عصبة العشاق ؛ وتمتمت بكلمات

فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النعاس على جفونهم ، وكانت الكؤوس ما تزال تفهقه فى أيديهم ، فسقطت عن غير عمد لتسقى الأرض من تحتهم شرابا !

وطفقوا تحت طائف الكرى ، ينسلون الى خيامهم . . .

وأدلفت ميرقا نحو القصر ، لتلقى تليماك :

« تليماك : هلم ! البدار : أنت هنا وكل رفاقك فى الفلك المشحون ينتظرونك : هلم ! يجب ألا نضيع وقتنا سُدى »

ونهض تليماك ! وسارت ميرقا ، وسار هو فى أثرها حتى كانا عند سيف البحر ، وحتى أشرفا على السفينة .

« مرحبا يا رفاق : هلموا فاحملوا هذه الدنان وتلك الأحمال الى السفينة : لا أحد يعلم أمر رحلتنا حتى ولا أبى ! فقط ربيبتى »

وامتثل الملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت ميرقا فركبت السفينة ومن ورائها ابن أوديسيوس وجلست هى عند الدفة ، ونشط البحارة فهيأوا المركب ، وحدجت المغرب ربة المدالة بعينها الزرجديتين فهبت النسمات رُخاء ، ورقصت تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تليماك واقفاً يحث رجاله ؛ واضطرب الماء تحت حيزوم السفينة واصطخب ، وصب القوم دنانا من الخمر تقدمة للآلهة وقرباناً ، وتحية لميرقا لا تبيد :

واحلولك الليل وتدجى غيهبه ؛ ثم انجاب ظلامه عن فجر مبين :

(يتبع) دريني خشبة

بنـــك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التوفير المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسى

بالقاهرة . وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر